

روت عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبِّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»" <sup>(١)</sup>.

## الآية ٢١٥

### مقدار نفقة التطوع ومصرفها

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ <sup>(٢)</sup>.

### أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٢١٥): عن ابن جريج قال: "سَأَلَ الْمُؤْمِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيْنَ يَضْعُونَ أَمْوَالَهُمْ؟ فَتَزَلَّتْ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾" <sup>(٣)</sup> فَذَلِكَ النَّفَقَةُ فِي التَّطَوُّعِ، وَالزَّكَاةُ سِوَى ذَلِكَ كُلِّهِ" <sup>(٤)</sup>.

وقيل نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً وعنده مالٌ عظيم، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا تنفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت هذه الآية" <sup>(٥)</sup>.

المناسبة: ذكر في الآيات السابقة أنَّ حُبَّ الدُّنْيَا هو سبب الشَّقَّاقِ والخَلَافِ، وأنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِحَقِّ هُم الَّذِينَ يَتَحَمَّلُونَ الشَّدَائِدَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ، فَنَاسِبٌ أَنْ يُذَكَّرَ مَا يُرْغَبُ الْإِنْسَانُ فِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِأَنَّ الْكَسْبَ وَالْإِنْفَاقَ يَتَطَلَّبَانِ الصَّبْرَ وَالسَّهَادَةَ، وَبِذَلِكَ الْمَالِ كِبْذِلِ النَّفْسِ، وَكِلَاهُمَا مِنْ آيَاتِ الْإِيمَانِ.

### المعنى العام

يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ يسألونك يا محمد ماذا ينفقون من أموالهم، فبين لهم تعالى وجوه الإنفاق ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ من أي خير، سواء كان ذهباً أو فضة أو طعاماً أو ثياباً أو حيواناً أو غير ذلك، فادفعوه للأهمل فالأهم ﴿فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ لأن فيهم الصلة والصدقة، ﴿وَالْيَتَامَى﴾ الذين مات آباؤهم لهضم حالهم، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ لضعفهم، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ لغربته واحتياجه إلى ما يبلغه وطنه، ويشمل أيضاً التازحين من بيوتهم بسبب الحروب أو الكوارث الطبيعية ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ يجازيكم به الله، فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم، وهذه الآية في نفقة التطوع وهي غير الزكاة، فلا نسخ في الآية.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ٧٧٠، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره، عن ابن جريج، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ...﴾، ج ٣، ص ٦٤٢.

(٤) ذكره الواحدي في الوجيز، عن ابن عباس، ج ١، ص ١٦٢.

## لطائف الإشارات للسلوك والتزكية في الآيات

### ما يستخلص من الآيات

#### في العقيدة

من هدي الآية:

١. علم الصحابة الكرام أنهم عبيد، والعبد غير منفرد بالفاعلية أن يفعل، فإن العبد ليس له فعل شيء إلا بإذن مولاه، فتوقفوا في الإنفاق على ما يشير إليه تفصيل الإذن، لأن العبودية هي الوقوف حيثما أوقفك الأمر. فهو ﷺ المالك الحقيقي للمال ولكل شيء.
٢. عليك بالسؤال عما لا تعلم حتى تتعلم وهذا طريق العلم، ولذا قالوا: السؤال نصف العلم.
٣. أفضلية الإنفاق على المذكورين في الآية إن كان المنفق غنياً وهم فقراء محتاجون.
٤. الترييب في فعل الخير، والوعد من الله تعالى بالجزاء الأوفى عليه، والواو في قوله: ﴿وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى﴾ تشير إلى نوع من الترتيب؛ فالأولى بمعرفتك والداك ثم أقاربك ثم على الترتيب الذي قاله ﷺ.

#### في الأمر والنهي

باب في بيان كثرة طرق الخير

إن طرق الخير كثيرة جداً، وهي غير منحصرة، نذكر طرفاً منها:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾<sup>(٣)</sup>

- وعن أبي ذر رضي الله عنه، أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهنيلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»<sup>(٤)</sup>.
- "الدثور": بالثاء المثلثة: الأموال، واحداً: دثر.

- وعنه رضي الله عنه: قال: قال لي النبي ﷺ: «(لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)»<sup>(٥)</sup>.
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ١٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي ذر، حديث رقم: ١٠٠٦، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي ذر، حديث رقم: ٢٦٢٦، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٩٨٩، كتاب: الجهاد والسير، باب: من أخذ بالركاب ونحوه.

• وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمَدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ السَّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زُخِرَ نَفْسُهُ عَنِ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

### باب في حسن القضاء والتقاضي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ فَهُمْ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»، ثُمَّ قَالَ: «أَعْطُوهُ سَنًا مِثْلَ سِنِّي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّي، فَقَالَ: «أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً»<sup>(٢)</sup>.

### في الأخلاق والآداب

#### التخلق باسم الله العليم:

- بَأَنْ تَكُونَ مُحِبًّا لِلْعِلْمِ النَّافِعِ وَلِلْعُلَمَاءِ.
- وَأَنْ تَطْلُبَ الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ، فَكُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، وَاحْرِصْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى أَنْ تَزِدَّادَ عِلْمًا.
- وَأَنْ تَحَاوِلَ رَبْطَ مَا تَتَعَلَّمُهُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.
- وَأَنْ تَزِدَّادَ بِاللَّهِ تَعَالَى مَعْرِفَةً، وَمَعَانِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَقِينًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.
- أَنْ تَكُونَ عَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا.
- أَنْ تَتِمَّكَنَ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، وَعِلْمِ الطَّرِيقَةِ، وَتَتَبَحَّرَ فِي عِلْمِ الْحَقِيقَةِ؛ ذَوْقًا، وَحَالًا، وَمَقَامًا، فَيُحِينُذَ تَكُونَ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، قَدْ حَزَتْ الْوَرَاثَةَ كُلَّهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(٤)</sup>.

### في السيرة والشَّمائل

قَالَ أَنَسُ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشَجَعَ النَّاسِ»<sup>(٥)</sup>.

### في الإعجاز العلمي

### في أشرار الساعة

### في الأدعية والأذكار

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمَنْ الْعَمَلِ مَا تَحِبُّ وَتَرْضَى، اللَّهُمَّ حَقِّقْنَا بِمَقَامَاتِ الْعِبَادِيَّةِ وَخَلِّقْنَا بِالْأَخْلَاقِ الْمَحْمَدِيَّةِ، وَوَقِّفْنَا لِمَا طَلَبْتَهُ مِنَّا، وَاسْتَعْمَلْنَا فِيهِمَا بِرِضِيكَ عَنَّا.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ١٠٠٧، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٣٠٦، كتاب: الوكالة، باب: الوكالة في قضاء الديون.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، عن عثمان، حديث رقم: ٥٠٢٧، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، عن أنس، حديث رقم: ٣٠٤٠، كتاب: الجهاد والسير، باب: إذا فزعوا بالليل.

## تفسير كل آية بجملة

سورة البقرة

النور الثاني

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قَاتَلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُكَ ذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

٣٤

﴿٢١٦﴾ إذا كان في الإنفاق على اليتامى والمساكين وغيرهم حماية للمجتمع في داخله، فإن القتال حماية له من أعدائه في الخارج، ولذلك فرض عليكم أيها المسلمون- القتال لحماية دينكم والدفاع عن أنفسكم، وأن نفوسكم بحكم جبلتها تكره القتال كرهاً شديداً، ولكن ربما كرهتم ما فيه خيركم، وأحببت ما فيه شرّكم، والله يعلم ما غاب من مصالحكم عنكم، وأنتم لا تعلمون فاستجيبوا لما فرضه عليكم.

﴿٢١٧﴾ لقد كره المسلمون القتال في الشهر الحرام فسألوك يا محمد عنه، فقل لهم: نعم إن القتال في الشهر الحرام إثم كبير، ولكن أكبر منه ما حدث من أعدائكم من صدّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وإخراج المسلمين من مكة، فقد كان إيذاؤهم للمسلمين لإخراجهم من دينهم أكبر من كل قتل، ولذلك أبيع القتال في الشهر الحرام لقمع

هذه الشرور، فهو عمل كبير يتقّى به ما هو أكبر منه. واعلموا- أيها المسلمون- أن سبيل هؤلاء معكم هو سبيل التجنّي والظلم، وأنهم لا يقبلون منكم العدل والمنطق، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يضعف أمام هجماتهم ويرتدّ عن دينه حتى يموت على الكفر فأولئك بطلت أعمالهم الصالحة في الدنيا والآخرة، وأولئك أهل النار هم فيها خالدون.

﴿٢١٨﴾ وإن الذين آمنوا إيماناً صادقاً دفعهم إلى الهجرة لنصرة الدين، والجهاد لإعلاء كلمته، فأولئك ينتظرون عظيم ثواب الله لهم، وإن قصّروا في شيء، لأن الله غفور يغفر الذنوب جميعاً، رحيم يرحم عباده بالهداية والثواب.

﴿٢١٩﴾ ويسألونك يا محمد عن حكم الخمر والقمار، فقل: إن فيهما ضرراً كبيراً من إفساد الصحة وذهاب العقل والمال وإثارة البغضاء والعدوان بين الناس، وفيهما بعض المنافع الصحيّة والربح السهل، ولكن ضررهما أكبر من نفعهما فاجتنبوهما. ويسألونك عما ينفقون، فأجبههم أن ينفقوا في ذات الله السهل اليسير الذي لا يشقّ عليكم إنفاقه، كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فيما يعود عليكم من مصالح الدنيا والآخرة.

## فرضية القتال وإباحته في الأشهر الحرم

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨) ﴿

## أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٢١٦): قال ابن عباس: لما فرض الله الجهاد على المسلمين شق عليهم وكرهوا، فنزلت هذه الآية. سبب نزول الآية (٢١٧): روي أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في ثمانية من المهاجرين في جمادى الآخرة قبل وقعة بدر بشهرين، ليرصد عيراً لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه، فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة من تجارة الطائف، وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونهم من جمادى الآخرة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام وهو الشهر الذي يأمن فيه الخائف، ويسعى الناس فيه إلى معاشهم. ولما قدموا على رسول الله ﷺ، قال لهم: والله ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، ووقف العير والأسيرين ولم يأخذ منها شيئاً... وظنوا أن قد هلكوا فنزلت الآية، فأخذ النبي ﷺ العير وعزل منها الخمس، وقسم الباقي بين أصحاب السرية وفدى الأسيرين. (١)

سبب نزول الآية (٢١٨): عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطاً، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَصَابُوا وَرُرَّا فَلْيَسْ لَهُمْ أَجْرٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ الْآيَةَ" (٢). المناسبة: ذكرت أحكام القتال بعد أحكام الصدقة- نفقة التطوع- لما بينهما من الصلة الوثيقة، فالقتال يحتاج لبذل النفس والتفيس من المال، والمال قرين الروح، والإنفاق جهاد بالمال، فناسب أن يذكر الجهاد الذي هو أسمى من بذل المال، لأنه يستقيم به الدين، ويحتاج إلى بذل المال والنفس.

## المعنى العام

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢١٦)

يقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ فرض عليكم أيها المسلمون الجهاد، ﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ وهو شاق عليكم، تكرهه نفوسكم

(١) ذكره المراءغي في تفسيره، ج ٢، ص ١٣٤.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن جندب، حديث رقم: ٢٠٤٠، باب: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَرَمِ﴾، ج ٢، ص ٣٨٨.

لما فيه من بذل المال وخطر هلاك النفس، وفيه خيرٌ كبير لكم، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ففي الجهاد نصر دينكم، وإعلاء كلمة إسلامكم، والغنيمة والظفر بعدوكم، والأجر الكبير عند ربكم، من مات كان شهيداً، ومن عاش عاش سعيداً، وكذلك بقية التكليف، فإن النفس تكره الإقدام عليها، وهي مناط صلاحها، وسبب فلاحها ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ وهذا عام في الأمور كلها، فقد تحبّون الراحة وترك الجهاد وفي ذلك دُلكم، وظهور العدو عليكم، وفوات الأجر من ربكم، وحرمان درجة الشهادة عند ربكم. وكذلك جميع المنهيات فإن النفس تحبّها بالطبع، وتشره إليها، وهي تفضي بها إلى ذلّها وهوانها، وعبر الحق سبحانه بعسى لأنّ النفس إذا ارتاضت انعكس الأمر عليها، فيخفّ عليها أمر الطاعة، ويصعب عليها أمر المخالفة، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم، فاستجيبوا له وانقادوا لأمره، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لجهلكم بعواقب أموركم.

اعلم أنّ هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين، أن يكفّوا شرّ الأعداء عن حظيرة الإسلام، فالجهاد واجب على كلّ أحد، غزا أو قعد، فالقاعد عليه إذا استعين أن يعين، وإذا استغيث أن يغيث، وإذا استنفر أن ينفر.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

يقول الحق ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ أي يسألونك يا محمد عن القتال في الأشهر الحرم، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قل لهم أنّ القتال في الشهر الحرام أمر عظيم، ولكن ما وقع من الكفار من صدّ الناس عن سبيل الله ومنعهم من الإسلام والطاعة، ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ وكذلك كفرهم بالله ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وصدّهم المسلمين عن المسجد الحرام عام الحديبية، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وإخراج المسلمين من مكة التي هي بلدكم، ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أعظم عند الله ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ والفتنة التي هم فيها من الكفر، وافتتان الناس عن دينهم أكبر جرماً من القتال الذي وقع في الشهر الحرام، ذلك أنّ محاربة الأعداء وقتل من يقتل منكم خير من أن تكون فتنة بينكم كما هو واقع المسلمين اليوم، فنحن في زمن الفتن وسنين خداعة تثير الأحقاد والضغائن.

ثم قال الحق ﷻ في التحذير من الكفار: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ اعلموا أيّها المسلمون أنّ الحرب مفروضة عليكم، لأنّ الكفار لن يتركوا قتالكم مهما وقّعت من العقود والعهود تبغون الصلح والسلام، لأنّ هدفهم الأساسي هو إخراجكم من الملة والدين، وهذا هو المقصود من زمن آدم ﷺ إلى يوم الدين. وهو صراع بين الخير والشر، فمن سيطر على الأرض سيطر على ثقافة الشعوب ﴿إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ لكنهم لا يطيقون ذلك، ﴿وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ أي يرجع، والردة هي الرجوع من الإسلام إلى الكفر. فمن يتردد منكم عن دينه ويستمرّ عليه حتى يموت وهو كافر ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾، حبط أي فسد وبطل عمله. فمن أثر دنياه على دينه، خسر الدنيا والآخرة، ولا حرمة له ولا نصيب له في الفيء والغنيمة، وفي ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ لا يرى لها ثواباً، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي وهم مخلدون في جهنم لا يخرجون منها أبداً.

ولما نزلت الآية في إسقاط الحرج، ظنوا أنه لا أجر لهم في ذلك الجهاد، فأنزل الحق ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾. الهجرة هي مفارقة الأهل والوطن في سبيل الله، لنصرة دينه، هجروا حب الدنيا والتعلق بها ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حق جهاده، فبذلوا المال والجهد لنشر هذا الدين، وثبتوا على الحق ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ الرجاء هو الأمل والطمع في حصول ما فيه نفع، ورحمت الله أي ثوابه، وستبسط عليهم الرحمت بسطاً ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم فلا يضيع جهادهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. عظم تعالى من شأن الهجرة والجهاد، وعبر بالرجاء إشعاراً بأن العمل غير موجب للثواب، وإنما هو عبودية، والأمر بيد الله إن شاء أثناب وإن شاء عاقب. فهذا سيد الخلق ﷺ يقول: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ بِعَمَلِهِ. فَقَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: وَلَا أَنَا حَتَّى يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

## لطائف الإشارات للسلوك والتزكية في الآيات

### ما يستخلص من الآيات

#### في العقيدة

#### من هدي الآية:

١. قاعدة عظيمة ينبغي أن لا تنساها وتذكرها دومًا في حياتك، من عاش معها حظي بسعادة الدنيا والآخرة: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. فعلى المؤمن العاقل أن يأخذ بالأسباب ويمثل أمر ربّه ثم يقف بعد ذلك موقف العبد الراضي المسلم بكل ما يقدره له مولاه الكريم الرحيم وإن جاء خلاف ما تشتهي من نفسه لأنه لا يدري حقيقة الخير أين هو، أهو في المنع أم في العطاء، فربما منعك فأعطاك وربما أعطاك فمنعك. ولو أدركت حكمة المنع لعرفت أنه عين العطاء.

٢. من ينشر الفتنة في الدين ويسعى لتكفير المسلمين أشدّ ممن يقتلهم. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكُورَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكُورُهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

٣. وجوب الجهاد على أمة الإسلام ما بقيت فتنة في الأرض وظلم وطيغان.

٤. الفتنة بين المسلمين أكبر ضررًا من القتال مع الكفار. قال رسول الله ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يَهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَفْرَقَ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا»<sup>(٣)</sup>.

٥. إن الدجال ومن معه من الكفار يحاولون فرض العلمانية على المسلمين وكذلك ضرب القيم والمبادئ، كشزعنة الزنا والشذوذ وغير ذلك، وهذا أشدّ من أن تقتاتلوا فتقتلوا أو تُجرحوا أو تخسروا أموالكم ومساكنكم وتجاراكنم.

٦. البيان أن الهدف الأساس للدجال ومن تبعه من الكفار، هو إخراج المسلمين من دينهم بشتى الطرق والوسائل، وهو لن يكف عن ذلك.

(١) رواه الشيخان وغيرهما

(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ١٦، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان.

(٣) روله مسلم في صحيحه، عن سعد بن أبي وقاص، حديث رقم: ٢٨٩٠، كتاب: الفتن وأشرار الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

من أسماء الله الحسنى: الغفور الرحيم  
واسع المغفرة للتائبين المستغفرين، عظيم الرحمة بعباده المؤمنين.

### ما الإيمان؟

الإيمان: هو التصديق المطلق بأسماء الله الحسنى والتعلق بها.  
والتعلق بأسماء الله تعالى: يكون ما بين العبد وربّه، والتخلُّق بأسماء الله تعالى: يكون ما بين العبد ومخلوقات ربّه.

### الإيمان بالقدر خيره وشره

هو أن تؤمن بأن: كلّ ما قدّره الله تعالى عليك، وقضاه لك، هو لخيرك.  
هناك شيء اسمه: قضاء وقدر، وهي الأشياء التي تحصل معك وأنت لا خيار لك فيها.  
مثلاً: مرض لك أحد، أو مات لك أحد، أو أنت مرضت، أو حصلت حروب، أو زلازل أو خسرت تجارتك...  
كلّ هذه الأشياء لا خيار لك فيها، وقد حصلت معك، أو تحصل مع غيرك، وقد كتبها الله تعالى عليك، وكلّ ذلك لخيرك، سواء أكان نعمًا أم كان بلاء.

١. فإن كانت نعم: فالمقصود من هذه النعم:

أ- أن تشكر الله عليها، لأنّ الله تعالى يتودّد إليك بالنعم، لكي تحبّه.

ب- وأن تتعرّف على أسماء الله الجمالية، مثل: الكريم، الرّحيم، المعطي، الوهاب، ...

٢. وإذا كانت بلاء: فالمقصود من هذا البلاء هو: عين العطاء.

والإنسان قد يقع معه شيء من الأقدار المؤلمة، أو المصائب الموجهة التي تكرهها نفسه، وقد يجزع ويحزن، ويظنّ أنّ تلك الفاجعة مهلكة لآماله وحياته، فإذا بذلك الأمر المقدّر كان في حقيقته منحة له في ثوب محنة، وعطيّة في رداء بليّة، لما كان فيه من مزيد تعرّف على جلال ربّه، ومن صبر يوفّي أجره عليه بمزيد رضا من الله وقرب، ويورثه درجات عالية في الجنة.

وهذا يشبه: ما يقوم به الأستاذ حين يمتحن الطالب فيضعه تحت ضغط الامتحان، ليبذل الجهد اللازم في الدراسة، وقد يصعب عليه الأسئلة لكي يتعلّم أكثر عندما يصحّح أخطاءه، لأنّه لو جاءه بامتحان سهل فلن يتعرّف على المادة بعمق، وإذا لم يضغط عليه بالاختبارات فلن يدرس بتمعّن، ولن يتعلّم. وكذلك ما يقوم به الوالدان في تربية الأولاد، فقد يمنعونهم عن بعض الأطعمة الضارة، للحفاظ على صحتهم، وقد يقوم الوالدان بمعاينة أولادهم إذا كثرت أخطاؤهم، وذلك لمصلحتهم لكي يتعلّموا. والله تعالى المثل الأعلى. فكلّ بلاءٍ تُبتلى به فهو عين العطاء من الله تعالى لك، ولو كشف عنك الغطاء لرأيت ذلك.

فعندما تؤمن باسم الله الحكيم وتتعلّق به؛ نرى حكمة الله تعالى في كلّ شيء، ونرضى بما قضاه لنا، ونعيش مع معاني قوله تعالى: ﴿...وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

## العمل بالآيات:

- تذكر شيئاً تعلقت به نفسك فصرفه الله عنك، فكان الخير بخلاف ما تريد، أو كرهته ففقد عليك، ثم تبين أن الخير كل الخير كان بما كرهت، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.
- اكتب ثلاثة أمور تصارعها اليوم في حياتك، وهي على خلاف ما تهواه نفسك، وتذكر هذه القاعدة العظيمة، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾.
- كرر هذا الدعاء يومياً: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَثْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.
- صل ركعتين لله تعالى، وقل في سجودك: "سبحان ربّي العظيم وبحمده" مرتين وفي الثالثة قل: "سبحان ربّي الأعلى وبحمده" من قدر عليّ البلاء الفلاني وتذكره، ثم قل: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ رضيت بالله ربّاً. ثم انظر كيف تخرج من الصلاة وأنت منشرح الصدر وقد ذهب عنك كل ما كان يزعجك.

## القتال في الأشهر الحرم

### الحكم الأول: هل يباح القتال في الأشهر الحرم؟

دلّت هذه الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام، وقد اختلف المفسرون في بقاء الحرمة أم نسخت؟ ذهب الجمهور إلى أنّ الآية منسوخة، نسختها آية براءة ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾<sup>(٢)</sup>.

الحكم الثاني: هل الردّة تحبط العمل وتذهب بحسنات الإنسان؟

- دلّ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَثْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ على أنّ الردّة تحبط العمل، وتضيع ثواب الأعمال الصالحة، وقد اختلف العلماء في المرتد، هل يحبط عمله بنفس الردّة، أم بالوفاة على الكفر؟
- ذهب مالك وأبو حنيفة إلى أنّ العمل يحبط بالردّة نفسها.
  - وقال الشافعي رحمه الله: لا يبطل العمل إلا بالموت على الكفر.
  - وقد انبنى على ذلك خلافتهم في المسلم إذا حجّ ثم ارتدّ ثم أسلم. فقال مالك وأبو حنيفة يلزمه إعادة الحجّ، لأنّ ردّته أحبطت حجّه.
  - وقال الشافعي: لا حجّ عليه لأنّ حجّه قد سبق، والردّة لا تحبطه إلا إذا مات على كفره.

(١) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٦.



## من الأخلاق المحمدية: الحكمة والثبات عليها:

هذا الخلق مُسْتَمَدٌّ مِنْ اسْمِي اللَّهِ تَعَالَى "الحكيم والصبور".

والتَّخَلُّقُ بِاسْمِ اللَّهِ "الحكيم" هو بأن تكونَ حَكِيمًا في أقوالِكَ وأفعالِكَ وجميعِ أمورِكَ، فإنَّ الحكيمَ مَنْ يَنْظُرُ في عواقِبِ الأمورِ. والتَّخَلُّقُ بِاسْمِ اللَّهِ "الصَّبور" هو بأن تُثَبَّتَ على تطبيقِ الحكمةِ وإن خالفَكَ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَتَصْبِرَ على ذلكَ حَتَّى يُظْهَرَ اللَّهُ النَّتَاجُ وَيَرَوِا الْعَوَاقِبَ، وهذا يحتاجُ إلى صبرٍ كبيرٍ لَأَنَّكَ سَتُواجهُ بتياراتٍ مِنَ الصُّغُوطاتِ والانتقاداتِ، ذلكَ أَنَّ أَغْلَبَ النَّاسِ لا يَنْظُرُونَ في عواقِبِ الأمورِ.

• كيف نُحَسِّنُ التَّصَرُّفَ ونختارُ الكلامَ المُناسِبَ لِكُلِّ ظَرْفٍ؟ كيف نَتَجَنَّبُ العُقُباتِ حَتَّى نَصِلَ لِمَا نُرِيدُ وَنَنجُحُ في أمورِ حياتِنَا؟ إنَّها الحكمةُ في القولِ والفعلِ، تَجْعَلُنَا نَسِيرُ على هَدًى وَبَصِيرَةٍ، وَمِنْ أركانِها العلمُ أي أن تكونَ مُمَّا بالموضوعِ، والحلمُ أي أن لا تتفعلَ بسرعة، والأناةُ أي أن تتأَنَّى في أخذِ القراراتِ وردودِ الفعلِ. قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾<sup>(١)</sup>.

• الحكمة هي وضعُ الشيءِ في موضِعِهِ، وهي قولٌ أو فعلٌ ما ينبغي في الوقتِ الَّذي ينبغي على التَّحَوُّ الَّذي ينبغي. مَنْ أُوتِيَ الحكمةَ استطاعَ وزنَ الأمورِ وتجنَّبَ الزَّلَّاتِ ورؤيةَ أبعادِ المُعطياتِ وأبعادِ الأمورِ. والحكمةُ تُحَفِّظُنَا من فعلِ ما يعودُ علينا بالضررِ وارتكابِ السَّوءِ أو التَّلَفُظِ بِهِ، وَمِنْ التَّسَرُّعِ والتَّجَنُّبِ على الغَيْرِ، وَمِنْ عَمَلٍ ما يَضْطَرُّنا للاعتذارِ وطلبِ العَفْوِ. ومن الحكمةِ استشارةُ الحكماءِ واستخارةُ الحكيمِ العليمِ ﷺ، ما ندم من استشار، وما خاب من استخار.

• الحكمةُ تنبُعُ من نورِ العقلِ الَّذي أمدَكَ اللَّهُ بِهِ، فهي تأتي من العلمِ وحُسْنِ التَّصَرُّفِ واتِّخَاذِ القرارِ المُناسِبِ في الوقتِ المُناسِبِ. كما تنبُعُ من النورِ الأعلى الأتمِّ والأقوى: نورِ القرآنِ والسَّنةِ النَّبَوِيَّةِ والأخلاقِ المحمَّديَّةِ، الَّتِي باتباعِها تكونُ على هَدًى ونورٍ من رَبِّكَ. قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>. وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يسألُ رَبَّهُ الثَّباتَ على الحقِّ: ﴿يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّثْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ﴾<sup>(٣)</sup>. وذلكَ لَأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يصدِّقُ عن الحكمةِ فلا تطعمهم ولا تتبعهم واثبت على الحق وعلى قواعد الحكمة. قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ لَتَرْضَى عَنْكُمْ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِي فَتَكْفُرُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

• الثَّباتُ هو البقاءُ على الشيءِ والاستمرارُ فيه. فالثَّباتُ على العملِ والموقفِ والمبدأ والطريقِ والمرابطةِ يتمُّ عبرَ المداومةِ على الطَّاعاتِ والمعتقداتِ والخدماتِ والأعمالِ الصَّالحةِ وكلِّ شيءٍ يقربُ إلى اللَّهِ تعالى. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ﷻ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»<sup>(٥)</sup>. وقد قال اللَّهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَنُ قَائِبُوتُ فَاتَّبِعُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٦)</sup> وقال اللَّهُ تعالى: ﴿... رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾<sup>(٧)</sup>.

• من قواعدِ اكتسابِ الحكمةِ: تَجَنُّبُ المَفاوِيدِ لِأَنَّ المَفسَدةَ سَتَطغى ولو كان في الأمرِ مصلحةٌ. لذلكِ القاعِدةُ هي: "ردء المفسدة مقدَّم على جلب المصلحة" وَمِنْ الحكمةِ تَجَنُّبُ أَصْدِقائِ السَّوءِ، وحسُنُ اختيارِ الكتابِ، والبرامجِ الَّتِي تتابعها، والزَّفَقِ في الأمرِ كُلِّهِ، والإحسانُ والمعروفُ للآخرين. وإن لم يعلموا ذلكَ أَنَّ القاعِدةَ القرآنيَّةَ تقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٣) رواه أحمد في مسند، عن أنس بن مالك ﷺ، رقم الحديث: ١٢١٠٧، مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند أنس بن مالك - رضي الله عنه.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن معاوية بن أبي سفيان، رقم الحديث: ٥٠٦٤، كتاب: الإمارة، باب: قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٨) سورة الرحمن، الآية: ٢٣.

- بالحكمة يصبح الشخص دائم التفاؤل لأنه يعلم أنه ما بعد الضيق إلا الفرج، ومع كل عسر يُسر، وأن دوام الحال في المحال، وعواقب الأمور إلى الأفضل و﴿...وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وبذلك يصبح قلب الإنسان مرتاحاً وسعيداً. كما يأتيه الهدوء والحلم لمواجهة المواقف فيكون غير عجول وغير انفعالي. ويصير ينظر للكمالات دون الجزئيات، ولحقائق الأمور دون ظواهرها.
- ﴿رَبَّنَا آتِنَا حِكْمًا وَآخِزْنَا بِالصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

## ما الفرق بين رحمت الله ورحمة الله تعالى؟

الرحمة التي تأتي فيها التاء مفتوحة أو مبسوطة "رحمت"، مفادها أنها رحمة بسطت بعد قبضها وأتت بعد شدة، ودائماً تكون مضافاً مباشرة للفظ الجلالة ﷻ. وتدل التاء المبسوطة أيضاً على اتساع قدرة الله ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup>، أما الرحمة التي تأتي فيها التاء مربوطة فهي رحمة مرجوة لم تفتح للسائل بعد. فالعابد القانت الساجد آناء الليل، يرجو رحمة ربه في الآخرة ألا وهي الجنة، التي هي مقفلة دونه في الحياة الدنيا، وستفتح له يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

الحكمة: "لا يكن أمد تأخر العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك، فهو ضمن لك الاستجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختاره لنفسك، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد"<sup>(٤)</sup>.

الحكمة: "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره. فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾"<sup>(٥)</sup>.

الحكمة: "خير ما تطلبه منه، ما هو طالبه منك"<sup>(٦)</sup>.

## التوجيهات:

- الجهاد في سبيل الله لنشر الدين والخير والأخلاق شريعة ماضية إلى يوم القيامة، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.
- المسلم الصادق يسلم أمره لله؛ ولو خالف هواه، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾.
- السبب الأول للحرب على بلاد المسلمين هو الدين؛ مهما ألبسوا الحرب بلباس آخر، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٤) ذكره ابن عجيبة في الحكم العطائية، ج ١، ص ٣٠.

(٥) ذكره ابن عجيبة في الحكم العطائية، ج ١، ص ٥٥.

(٦) ذكره ابن عجيبة في الحكم العطائية، ج ١، ص ٢٠١.

## صلح الحديبية

من الأمثلة الواضحة على قاعدة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، صلح الحديبية وما فيه من بنود ظاهرها شرّ وحقيقتها خير:

ففي شهر ذي القعدة، آخر سنة ست للهجرة، " خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحَدِيثَةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ، قَلَدَ الْهَدْيِ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُرَاعَةٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ ﷺ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتُرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذُرَارِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوَنَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَخْرُوبِينَ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهَ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتِلْنَاهُ. قَالَ: «امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ» <sup>(١)</sup>.

ثم قال: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فقال له رجل من بني أسلم: أنا يا رسول الله. فسلك بهم طريقًا وعرا بين الشعب.

" وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالنَّيَّةِ الَّتِي يُبْطِ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حُلْ حُلْ فَأَلَحَّثَ، فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقُصُوءُ، خَلَّاتِ الْقُصُوءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقُصُوءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»... فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ... فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيثَةِ، وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطْفِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَحْجِ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ، وَأَصْرَثَ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَا دَذَنْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخْلَوُا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُوا: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جُئُوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا قَاتِلَتُهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفِرَ سَالِفَتِي، وَلَيَنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ»، فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا... فَقَامَ غُرُوةً بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ:... فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٍ، أَقْبِلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: آتِيهِ، فَأَتَاهُ... فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مَكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: آتِيهِ، فَأَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مَكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو... قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»... فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»

- قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «(لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا)» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَتَطُوفَ بِهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا صُغُطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو يَرْسُفُ فِي قُبُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاصِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «(إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ)»، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «(فَأَجْزُهُ لِي)»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «(بَلَى فافْعَلْ)»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مَكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرِ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: «(بَلَى)»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ: «(بَلَى)»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «(إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَغْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي)»، قُلْتُ: أَوْ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «(بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا تَأْتِيهِ الْعَامُ)»، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «(فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ)»، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغُرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ...

فَمَا فَرَعَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «(قُومُوا فَانْخَرُوا ثُمَّ اخْلِقُوا)»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَمَا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيُحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحْلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَانْخَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلُقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا...

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَتَرَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرِ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فَلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرَ، فَقَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لِحَيْدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَصَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَ الْآخَرَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْذُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: «(لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا)» فَمَا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَتَلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أُنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «(وَيْلُ أُمِّهِ مِنْ سَعَرِ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ)» فَمَا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى

سَيْفِ الْبَحْرِ قَالَ: وَيَنْفَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يُخْرِجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أُرْسِلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup> حَتَّى بَلَغَ ﴿الْحِمِيَّةَ حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾<sup>(٢)</sup> وَكَانَتْ حِمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْرَأُوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يَقْرَأُوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ<sup>(٣)</sup>.

فالمفاوضات التي جرت بين النبي ﷺ وبين مندوبي قريش أسفرت عن اتفاق سُمِّيَ في التاريخ والسيرة النبوية بصلح الحديبية، وهو يقضي بهدنة بين المسلمين وقريش، وترك الحرب عشر سنين، وعدم دخول المسلمين البيت الحرام من عامهم ذاك معتمرين، ولكن يحلّون إحرامهم، ثم يأتون العام المقبل لأداء العمرة، كما اشترط المشركون أن يردّ النبي من يأتي إليه من قريش مسلماً، وألا تردّ قريش من يأتيها مرتدّاً، وأنّ من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد النبي ﷺ من غير قريش دخل فيه.

وقد ذكر في الحديث، أنّ النبي ﷺ قد وافق على شروط المعاهدة، لأنّه كان مدرّكاً وموقفاً أنّ هذا الصلح سيكون فتحاً وخيراً وبركة على المسلمين بعد ذلك. غير أنّ عمر وبعض الصحابة رضي الله عنهم كرهوا هذا الصلح، ورأوا في شروطه ظمناً وإجحافاً بالمسلمين، لكنهم ندموا على ذلك، وظلّت تلك الحادثة درساً لهم فيما استقبلوا من حياتهم، فكان سهل بن حنيف رضي الله عنه يقول: "اتّهموا رأيكم، رأيتموني يوم أبي جندل (يوم صلح الحديبية) ولو أستطيع أن أردّ أمر رسول الله ﷺ لرددته"، وبقي عمر رضي الله عنه زمناً طويلاً متخوفاً أن يُنزل الله ﷻ به عقاباً، لقوله للنبي ﷺ يوم الحديبية: (فَلِمَ نُعْطِيَ الدِّينَةَ فِي دِينِنَا)، وكان يقول: "فما زلتُ أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت، مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ".

### الفوائد والعبر من صلح الحديبية

فمن فوائد صلح الحديبية الهامة أنّ الصحابة- رضوان الله عليهم- تعلموا أنّ في طاعة أمر النبي ﷺ والرضا والتسليم لحكمه الخير والصلاح المتضمنين لسعادة الدنيا والآخرة، وإن خالف أمره النفس والعقل، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>

من الفوائد المهمة من صلح الحديبية التي ذكرها ابن القيم رحمه الله: "أَنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْبِدْعِ وَالْفُجُورِ وَالْبُغَاةَ وَالظَّالِمَةَ إِذَا طَلَبُوا أَمْرًا يُعْظَمُونَ فِيهِ حُزْمَةً مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، أُجِيبُوا إِلَيْهِ وَأَعْطُوهُ وَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ مَنَعُوا غَيْرَهُ فَيَعَاوُنُونَ عَلَى مَا فِيهِ تَعْظِيمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا عَلَى كُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، وَيُمْنَعُونَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، فَكُلُّ مَنْ التَّمَسَّ الْمُعَاوَنَةَ عَلَى مُحْبُوبٍ لِلَّهِ تَعَالَى مُرْضٍ لَهُ، أُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ كَأَنَّهُ مَنْ كَانَ، مَا لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَى إِعَانَتِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمُحْبُوبِ مَبْغُوضٌ لِلَّهِ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَهَذَا مِنْ أَدَقِّ الْمَوَاضِعِ وَأَضْعَفِهَا وَأَشَقَّهَا عَلَى النَّفْسِ"<sup>(٥)</sup>

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٤. (٢) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، حديث رقم: ٢٧٣١، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٥) ذكره ابن القيم في زاد المعاد، باب: بعض ما في قصة الحديبية من الفوائد، ج ٣، ص ٢٦٩.

وفي قوله ﷺ: «لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا»، قال ابن بطال: "يريد بذلك موافقة الله في تعظيم الحرمات؛ لأنه فهم عن الله إبلاغ الأعدار إلى أهل مكة، فأبقى عليهم لما كان سبق لهم في علمه أنهم سيدخلون في دين الله أفواجاً".<sup>(١)</sup>

واستنبط ابن حجر فائدة جلية في شرحه لقول النبي ﷺ: «حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ» وهو في طريقه لمكة قبيل عقد صلح الحديبية، "أَيَّ حَبَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ كَمَا حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ دُخُولِهَا... وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِهَا، أَنَّ الصَّحَابَةَ لَوْ دَخَلُوا مَكَّةَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ وَصَدَّتْهُمْ قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ، لَوَقَعَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ قَدْ يُفْضِي إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ وَنَهْبِ الْأَمْوَالِ كَمَا لَوْ قَدَّرَ دُخُولُ الْفِيلِ وَأَصْحَابِهِ مَكَّةَ، لَكُنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَوْضِعَيْنِ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ خَلْقٌ مِنْهُمْ وَيُسْتَخْرَجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ نَاسٌ يُسْلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَكَانَ بِمَكَّةَ فِي الْحَدِيثِ جَمْعٌ كَثِيرٌ مُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ فَلَوْ طَرَّقَ الصَّحَابَةُ مَكَّةَ لَمَّا أَمِنَ أَنْ يُصَابَ نَاسٌ مِنْهُمْ بِغَيْرِ عَمْدٍ.. قَالَ الْخَطَّابِيُّ مَعْنَى تَعْظِيمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ تَزْكَ الْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ وَالْجُنُوحِ إِلَى الْمُسَالَمَةِ وَالْكَفِّ عَنْ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ".<sup>(٢)</sup>

لقد كان صلح الحديبية مع ما في ظاهره من إجحاف بالمسلمين مفتاحاً لفتح مكة، وغيرها من الفتوحات الإسلامية بعد ذلك، فقد اختلط المسلمون بالكفار بعد عقد الصلح والمعاهدة وهم في أمان، ودعاهم إلى الله تعالى، ودخل في سنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك، بل وأكثر، فقد خرج النبي ﷺ إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج عام فتح مكة في عشرة آلاف.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: "ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذٍ قَصُرَ رأيهم عما كان بين محمد ﷺ وربه، والعباد يعجلون، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد. لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند التحريق قرب إلى رسول الله بُدْنَةً، ورسول الله ﷺ ينحرفها بيده! ودعا الحلاق فحلق رأسه، فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره، وأراه يضعه على عينيه! وأذكر إباءه أن يقرّ يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم! وإباءه أن يكتب أن محمداً ﷺ رسول الله! فحمدت الله الذي هداه للإسلام. فصلوات الله وبركاته على نبي الرحمة الذي هدانا به، وأنقذنا به من الهلكة".<sup>(٣)</sup>

وعَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحَدِيثِ...<sup>(٤)</sup>

## حرص اليهود على عدم انتشار الإسلام بشتى الطرق والوسائل

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ الَّذِينَ حَزَبُوا الْأَحْزَابَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ وَبَنِي قُرَيْظَةَ حَيٍّ بَنُ أَخْطَبَ، وَسَلَامَ بَنُ أَبِي الْحَقِيقِ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَالزَّبِيعُ بَنُ أَبِي الْحَقِيقِ، وَأَبُو عَامِرٍ، وَوَحْوَخُ بَنُ عَامِرٍ، وَهَوْذَةُ بَنُ قَيْسٍ؛ فَأَمَّا وَحْوَخُ، وَأَبُو عَامِرٍ، وَهَوْذَةُ فَمِنْ بَنِي وَائِلٍ، وَكَانَ سَائِرُهُمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ. فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ، قَالُوا: هَؤُلَاءِ أَخْبَارُ يَهُودَ وَأَهْلُ الْعِلْمِ

(١) ذكره ابن بطال في تفسيره، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، ج ٨، ص ١٢٧.  
(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري، عن الخطابي، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، ج ٥، ص ٣٣٦.  
(٣) ذكره المقرئ في إمتاع الأسماع، باب: فتح الحديبية وخبر أبي بكر، ج ١، ص ٢٩٤.  
(٤) رواه البخاري في صحيحه، عن البراء، حديث رقم: ٤١٥٠، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية.

بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ، فَاسْأَلُوهُمْ أَدِينُكُمْ خَيْرٌ، أَمْ دِينُ مُحَمَّدٍ؟ فَسَأَلُوهُمْ، فَقَالُوا: بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وَأَنْتُمْ أَهْدَى مِنْهُ وَمَنْ اتَّبَعَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾<sup>(١)</sup> إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> يعني أنّ اليهود تقول إنّ الذين يعبدون الأصنام، أهدى من الذين يعبدون الله ويهتدون بهديه.

### في السلوك

**الإشارة:** الجهاد على قسمين: جهاد أصغر وهو جهاد السيف، وجهاد أكبر وهو جهاد النفس، فيجاهدها أولاً في القيام بجميع المأمورات، وترك جميع المنهيات، ثم يجاهدها ثانياً في ترك العوائد والشّهوات، ومجانبة الرّخص والتأويلات، ثم يجاهدها ثالثاً في ترك التدبير والاختيار، والسكون تحت مجاري الأقدار، حتّى لا تختار إلا ما اختار الحقّ تعالى لها، ولا تشتتني إلا ما يقضي الله عليها، فإنّ النفس جاهلة بالعواقب، فعسى أن تكره شيئاً وهو خير لها، وعسى أن تحب شيئاً وهو شرّ لها.

فعسى أن تأتيها المسارّ من حيث تعتقد المضارّ، وعسى أن تأتيها المضارّ من حيث ترجو المسارّ، وعسى أن تنتفع على أيدي الأعداء، وعسى أن تضّرّ على أيدي الأحبّاء، وعسى أن تكره الموت وهو خير لها، وعسى أن تحبّ الحياة وهي شرّ لها، فالواجب تسليم الأمور إلى خالقها، الذي هو عالم بمصالحها، ﴿وَاللَّهُ يَغْلُمُ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ﴾.

### في الإعجاز العلميّ

### في أشرار الساعة

### في الأدعية والأذكار

- ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(٤)</sup>
- اللَّهُمَّ أرنا الحقّ حقّاً وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.
- اللَّهُمَّ الطّف بنا في قضاءك وقدرك لطفاً يليق بمجودك وكرمك.
- اللَّهُمَّ عاملنا بفضلك لا بعدلك وبإحسانك لا بميزانك وبمحبّتك لا بحسابك.

(١) سورة النساء، الآية: ٥١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره، عن ابن عباس، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ﴾، ج ٧، ص ١٤٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨.